21 - السيدة فاطمة بنت أسد

رسول الله ﷺ في كفنها

اسمها فاطمة، والدها أسد بن هاشم بن عبد مناف، وزوجها أبو طالب ابن عبد المطلب وهي أم طالب، وعلي – كرَّم الله وجهه – وعقيل، وجعفر، وأم هانئ، وجمانة، وريطة أبناء أبي طالب.

بعد وفاة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ كفله جده عبد المطلب ولما حضرت الوفاة عبد المطلب كفَّله أبا طالب، وبين حنان أبي طالب وعطف فاطمة بنت أسد ترعرع رسول الله ﷺ.

ولاحظ أبو طالب وامرأته أن الطعام الذي يوضع لأبنائه لا يكفيهم ولا يشبعون إذا أكلوا في غياب ابن أخيه، أما إذا حضر معهم فإنهم يشبعون وتبقى من الطعام بقية، لذلك كان يأمرهم بانتظاره حتى يشاركهم لتنالهم البركة التي خصَّه الله بها؛ أما الماء فكان القدح لا يكفي أحد بنيه، فإذا شرب ابن أخيه قبله بات القدح يكفي الجميع، وهذا ما دفع أبا طالب إلى أن يقول له: «إنك لمبارك» وكانت امرأة أبي طالب شاهدةً على ذلك، وموقنةً بفضله وبركته.

ولما أخذ رسول الله ﷺ يعتمد على نفسه في كسب معيشته تحدَّث مع عمه العباس حول كثرة عيال أبي طالب وضيق ذات يده، واتَّفقا على التخفيف عنه، ثم ذهبا إليه وكلَّماه، فقال لهما: «خذا عليّاً، وجعفرَ ودعا لي عقيلاً»، فأخذ رسول الله ﷺ علياً، وأخذ العباس جعفرَ ثم انصرفا كُلٌّ إلى غايته وتدبير معاشه.

إسلامها

ولما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ برسالة الإسلام، وأمره بالدعوة إليها، كان أول من صدَّقه وآمن به السيدة خَدِيْجَةُ أم المؤمنين ﷺ من النساء، وصاحبه أبو بكرٍ الصِّدِّيق من الرجال، وربيبه عليُّ بن أبي طالب من الغلمان.

وحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214] امتثل من امتثل، وأبى من أبى، وكانت أم علي وأولادها أول المستجيبين لندائه ﷺ وأرضاهم أجمعين.

وعاشت فاطمة بنت أسد مشهداً عاطفيّاً مؤثِّراً حين وقفت تودِّع فلذة كبدها جعفرَ وزوجه أسماء بنت عميس وهما منطلقان إلى الحبشة مع وفد المهاجرين فراراً بدينهم من اضطهاد قريش وإيذائها لمن دخلوا في دين الإسلام.

وامتدت فترة غياب جعفر وامرأته حتى إنه رُزق ثلاثة أطفال على أرض الحبشة، وقد حُرمت جدتهم فاطمة بنت أسد من سعادة العيش بقربهم وذاقت مرارة الفراق، ولم يكن هناك تلاق.

هجرتها

وقد هاجرت فاطمة بنت أسد مع أولادها وبقية المهاجرين إلى المدينة، ومضت تبذل أقصى جهودها في سبيل إعلاء كلمة الله، وتوطيد دعائم دين الله الحنيف.

وكان أسعد أيام فاطمة بنت أسد يوم أسرَّ لها ابنها علي نبأ خطبته لفاطمة الزهراء ﷺ ولما تزوَّجا كانت أم علي أسعد حماة بأعظم كنَّة في الوجود.

محبة النبي ﷺ لها

ولكي يعيش علي حياة هانئة سعيدة، لا تشاحن فيها ولا بغضاء، قال

لأمه: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل: الطحن والعجن[1].

وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويعاملها معاملة أمه، وقد حصَّلت فاطمة بنت أسد ثروة ثقافية إسلامية أوصلتها إلى سُدَّة رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، فقد ذكرت كتب السنن لها ستة وأربعين حديثاً، ورد منها في الصحيحين حديث واحد فقط.

وكان رسول الله ﷺ يدخل على فاطمة بنت أسد ويكثر من زيارتها، ويَقِيْلُ في بيتها في بعض الأوقات، ذكر ابن سعد في طبقاته: أسلمت فاطمة بنت أسد، وكانت امرأة صالحة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها[2].

وكان يهديها الهدايا في بعض الأحيان لمكانتها عنده وإيثاره لها، فقد روى صاحب «الإصابة» عن جعدة بن هبيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أهدى إليَّ رسول الله ﷺ حلة إستبرق، فقال: «**اِجْعَلْهَا خُمُراً بَيْنَ الفَوَاطِمِ**»، فشققتها أربعة أخمرة، خماراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخماراً لفاطمةَ بنت أسد، وخماراً لفاطمة بنت حمزة، ولم يذكر الرابعة[3]، قال ابن حِجَر: ولعلَّها – أي الرابعة – امرأة عقيل بن أبي طالب، واسمها فاطمة بنت شيبة.

إكرام النبي ﷺ لها عند موتها

وكما كان رسول الله ﷺ يُكرم فاطمة بنت أسد في حياتها، فقد أكرمها حال موتها، فقد روى جابر بن عبد الله قال: بينا نحن جلوسٌ مع رسول الله ﷺ، إذ أتاه آتٍ فقال: يا رسول الله، إنَّ أم عليٍّ، وجعفرَ، وعقيلٍ قد ماتت، فقال رسول الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى أُمِّي**»، فقمنا وكأنَّ على رؤوس من

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (2/ 54).
(2) الطبقات لابن سعد (8/ 222).
(3) الإصابة (4/ 370)، وأُسد الغابة برقم: (7172).

معه الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع رسول الله ﷺ قميصه فقال: «**إِذَا غَسَلْتُمُوهَا فَأَشْعِرُوهَا إِيَّاهُ تَحْتَ أَكْفَانِهَا**»، فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل، ومرة يتقدَّم، ومرة يتأخر، حتى انتهينا إلى القبر، فتمعَّك[1] في اللحد[2]، ثم خرج فقال: «**أَدْخِلُوهَا بِاسْمِ اللهِ، وَعَلَى اسْمِ اللهِ**»، فلما أن دفنوها قام قائماً، فقال: «**جَزَاكِ اللهُ مِنْ أُمٍّ وَرَبِيبَةٍ خَيْراً، فَنِعْمَ الأُمُّ، وَنِعْمَ الرَّبِيبَةُ كُنْتِ لِي**».

قال: فقلنا له، أو قيل له: يا رسول الله، لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قطُّ! فقال النبي ﷺ: «**مَا هُمَا؟**» قلنا: نزعك قميصك، وتمعُّكك في اللحد، قال: «**أَمَّا قَمِيصِي فَأُرِيدُ أَلاَّ تَمَسَّهَا النَّارُ أَبَداً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَأَمَّا تَمَعُّكِي فِي اللَّحْدِ فَأَرَدْتُ أَنْ يُوَسِّعَ اللهُ عَلَيْهَا فِي قَبْرِهَا**»، ثم قال: «**إِنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ أُمِّي الَّتِي وَلَدَتْنِي، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَصْنَعُ الصَّنِيعَ وَتَكُونَ لَهُ المَأْدَبَةُ، وَكَانَ يَجْمَعُنَا عَلَى طَعَامِهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ تُفْضِلُ مِنْهُ كُلَّهُ نَصِينَنَا فَأَعُودُ بِهِ**».

وكبَّر عليها النبي ﷺ أربعاً، فأدخلها اللحد بمساعدة عمه العباس، وأبي بكر الصِّدِّيق ﷺ، وروى أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي ﷺ دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال: «**رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ بَعْدَ أُمِّي تَجُوعِينَ وَتُشْبِعِينَنِي، وَتَعْرَيْنَ وَتَكْسِينَنِي، وَتِمْنَعِينَ نَفْسَكِ طِيباً وَتُطْعِمِينَنِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ**».

وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لمَّا ماتت فاطمة بنت أسد أم علي ﷺ ألبسها النبي ﷺ قميصه، واضطجع معها في قبرها، وجزاها خيراً فقالوا: يا رسول الله، ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه! فقال رسول

(1) تمعَّك: تمرَّغ.
(2) اللحد: القبر.

الله ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبَرَّ بِي مِنْهَا، إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتُكْسَى مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِيَهُونَ عَلَيهَا عَذَابُ القَبْرِ».

وهكذا كان رسول الله ﷺ بَرّاً بأمِّه الثانية فاطمة بنت أسد الهاشمية، رحمها الله تعالى، ورضي عنها، وأجزل مثوبتها وجائزتها يوم تُوزَّع الجوائز على المؤمنين الصادقين.

obeikandl.com